# محارق الشيطان

## دراسة ثقافية للوباء في كنف العنصرية من خلال رواية "زرايب العبيد"

**Satan's pyres**
**A cultural study of the epidemic in the context of racism through the novel « Slave corrals »**

**أ. د. دليلة زغودي**
**المركز الجامعي مغنية (الجزائر)، daliazegh1982@gmail.com**



| تاريخ الإرسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2023 / 10 / 19 | 2024 / 01 / 25 | 2024 / 03 / 01 |



**مُلخّص البَحث**

تتجه هذه المداخلة بنظرة ثقافية صوب ما نُصب من محارق استعمارية باسم القضاء على الطاعون، قدمت فيها فئة الزنوج قربانا عن إنسانية "بيضاء عليا"؛ بعد أن وشّمت بدمغة الانحطاط والقذارة، وأقصيت بعيدا في محاشر منعزلة حدِّدَت حدودها بمنطق "الزريبة" التصنيفي، دلالة على انحطاط عرقي ونقص إنسانية سوتها بالحيوان.

إنها اقتراب من السؤال الثقافي حول "القمع المزدوج" [قمع العنصرية وقمع الاستعمار] المسلط على الزنوج والمتفاقم مع الوباء، يستعين بالنظريات الثقافية لما بعد الكولونيالية وما اتصل بها من حقول "الزنوجة" و"الميز العنصري"...متوسلا برواية "زرايب العبيد" للكاتبة الليبية نجوى بن شتوان، التي سرّدت مآسي السود في ظل العبودية والاستعمار، وتعرضت للطاعون الذي اجتاح البلاد، وسدد العبيد ضريبته.

**الكلمات المفاتيح:** الوباء، العِرق، العنصرية، الاستعمار، الدراسات الثقافية، المحرقة، زرايب العبيد.

**Abstract**

This intervention directs a cultural perspective towards the colonial crematoriums set up in the name of eradicating the plague, in which the negro class offered a sacrifice of "superior white" the stamp of

decadence and filth and banished far away in isolated squatters, whose borders were defined by the classification logic of the corral, an indication of racial decadence and lack of humanity that they equated with animals.
It is an approach to the cultural question about “double oppression”, (the oppression of racism and the oppression of colonialism) imposed on Negroes, which is exacerbated by the epidemic, using post-colonial cultural theories and the related fields of Negroism and “racial discrimination”. Relying on the novel slave pens by the Libyan writer “Najwa Bin Shtwan, which recounted the tragedies of black people under slavery and colonialism, and was exposed to the plague that swept the country, and the slaves paid its price.
**keywords:** The epidemic, Ethnicity, Racism, colonization, cultural studies, Holocaust, Slave corrals.

**"كنت أنادي العالم، وكان العالم يبعدني عن حماسي، فكانوا يطلبون مني أن أنزوي، أن أنطوي وأتقلص"**

**- فرانتز فانون-**

**1. مقدمة: الأوبئة والعنصرية**

لم ين فتيل العنصرية المتقد يزداد اشتعالا في أوقات الأزمات، ويتصاعد لهيبه محرقا ذلك /الآخر/ المقموع المنكمش على عرقه في ركنه المنبوذ. فلا يمكن أن يصدر الشرّ إلا عن مصدره ولا تحلّ لعنة الربّ وينطلق غضبه إلا بسبب خطيته؛ هكذا كان اليهود في أوربا –وهم من عذّبوا المسيح وصلّبوه على جبل الجلجثة- مسؤولين عن انتشار الموت الأسود في مدن السواحل الإيطالية؛ ما استنفر الكنائس للمطالبة باستئصالهم في إبادة جماعية عنيفة[1]، باءت المحارق فيها بدور البطولة في عمليات التطهير؛ إنها النار أعدت للشيطان وأتباعه ممن يستجلبون الطواعين.

كما اتهم العمال الصينيون –وهم العرق الأصفر الذي ينفر منه العرق الآري الأبيض- بإدخال الجذام إلى أوربا في القرن 19 م[2]. فيما كان المجذومون السّود من الأفارقة محطّ لعنة مزدوجة من الربّ؛ لعنة السواد الشيطاني من جهة، ولعنة مرض موصوم بالعار كالجذام من جهة أخرى، وكانوا إنما يؤكدون رواية "سفر اللاويين" في العهد القديم ويؤدّون قصاص ممارسة الخطيئة[3] المنهي عنها، وعلى الطرف الآخر من المحيط الأطلسي كانت جريرة ظهور الجدري في العالم الجديد تعلّق برقبة عبد إفريقي[4].

وكان الشرط الاستعماري يزيد من وطأة العنصرية، ويضاعف من ضغطها الساحق، وينوء بكلكله في أزمنة الجوائح؛ فمن الدارج بالنسبة للإمبراطوريات الاستعمارية القديمة وحليفتها الإمبريالية في الفترة المعاصرة، التذرع بالأمراض الوبائية للتغلغل في دواخل "العالم الثالث"؛ ذلك العالم المتوحش الموبوء.

**2. التّعريق والفصل: السدّ الجلدي**

يأخذ مفهوم "العرق" دلالته من الحَدّ والفصل بين الذات والآخر، وقد كان "الجلد" أهم علاماته وأبرزها وبه تناط الفروق الإثنية[5]، وتقام، على أساسه، هرميةُ الأعراق، فتتراتب على مدارجه الأجناس البشرية؛ من السيّد الأبيض في قمته إلى العبد الأسود في قاعدته، وهو تدرج يستتبع تدرجا في سلم القيم

يتخذ صيغة مانوية حادة ترتكن إلى مبدأ التنافي المتبادل، ويكون فيها أحد الطرفين زائدا وفائضا: [المستعمَر والأسود دائما ].

و"الجلد" بالأساس هو "واجهة بينية" (interface ) تصل الذات بالآخر و تفصل بينهما[6] في الوقت عينه. فمنه يشرع تأسيس الوجود النرجسي للذات، وينبلج الوعي بالوجود الخاص عبر التّماس بغير الخاص، كما يتصادى فيه الذاتي بالغيري. وتتأكد وحدة الأنا وتماسكها بارتسام تخومها الخاصة، حتى صار الجلد يرمز للكائن البشري كلّه[7]. ولكي يكون الجلد مهيأ للقيام بهذا الدّور فإنه يؤلّف بين الصلابة والهشاشة[8] ويضم بين النّفوذية والانغلاق؛ بما يسمح بتنظيم التداخلات بين الخارج والداخل على نحو معتدل لا يهدد وحدة الأنا، ولا يعزلها عن المثيرات الخارجيّة. فهو الغلاف الحامي الذي يضمن تبادلا سليما بين الذات والعالم وتداخلا قويما بين الداخل والخارج.

أما في حال الإنسان الأسود، فإن "الأنا الجلدي" (Moi peau)؛ وهو من يرسم للذات وجودها، يُقمع انفتاحُه في الوضع العنصري، حينما تسدّ مسامه ويغلّق عليه داخل جدران الزنوجة، وتضرب الأسوار دونه؛ بعد أن "تراصّ هذا الغلاف في طبقات وتحول إلى أطراف الجسم، وأصبح -بمرور الوقت – قشرة متكلسة –أنتولوجيا ثانية- وقرحة –جرح يحمل مدى الحياة ينخر ويلتهم ويقوّض ما صك به"[9].وما يزيد وضع الأسود مأساوية؛ أن تعريقه يتصل بالعضو الأكبر في الجسد الذي يجمع شمل الأعضاء جميعا ، وهو عضو "مكشوف للخارج ومشرع على غزو العلامات"[10]، ليس بالوسع غلقه أو مواراته عن عدوان النظر.

يُزْرَع الشقاق بين الزنجي وجلده؛ فينحرف الغلاف الحامي عن وظيفة الصيانة (maintenance)[11]، وينقلب إلى قوة عدوانية تدمّر الذات وتهدمها ( autodestruction)[12] ، ويُكْره فيها الأسود على دخول "صقّالة الجلد"[13] بعد أن تنشب الحرب بينه وبين إهابه. تصف عتيقة * تجربتها مع جلدها، وهي طفلة -على إثر صدمة اكتشاف "لعنة اللون"- فتقول: "أحسست أن ما قالته العجوز عن بشرتي زاد جسدي إعتاما حتى أظلم ظاهره وباطنه على السواء، وواصل السواد رحلته فعمّ قلبي الحليبي الصغير وحطّ فيه حزنا أسود على شيء لم أفعله بنفسي ولم أكن سببا فيه على الإطلاق"[14].

### 3. الأنطولوجيا المقتلعة

إن القطيعة، في ظل الرؤية المانوية، تعطّل الديالكتيك الهيغلي الذي يبني وجود الذات على الآخرية، حين تَقمَع أنطولوجيا الإنسان الأسود والمستعمَر، وتعلّق كل إنيّة كينونية بشرط الاستحالة[15]، حيث" تجارب السّود بين البيض ليست تجارب بين ذوات، ولا هي تقوم على مبدأ التداولية والأسود هو مجرد موضوع بين مواضيع أخرى"[16]. فالأنا وهو، أولا، أنا جسدي؛ ينجم عن استدخال ما ينبعث على بشرة الجسم من إحساسات[17]، وتعتمد وحدة الأنا النفسية على تكوين وحدتها الجسدية بدءً، وبتوفر هاتين الوحدتين، فقط،

يكون بوسع الفرد تكوين صورة عن نفسه عبر الآخر[18]. أما بالنسبة للأسود فإن الوجود في العالم -المتكئ على الحضور الجسدي- يُمْنَى بخلل فيضطرب، وتتعطل الوساطة الجسدية بين داخل معزول يتوارى خلف كتامة سحيمة لا تشفّ ولا تفضي، وبين خارج غريب وعدواني.

إن وسيلتهم الأولى لاكتساب عالم [19] تُسلب منهم، وتُبْتَر الصلة التي تشدهم إلى العالم عن طريق الإدراك والوعي المنبثقين من الجسد، ذلك أن علاقتي بجسدي ليست علاقة امتلاك، وإنما "أنا جسدي"[20]. فبين الجسم البيولوجي الأسود والعالم يقوم ديالكتيك فعلي، ولكن بين جسمه وبين العالم المبيّض، ينكسر الديالكتيك وتعترض الأسودَ مصاعبُ في رسم مخططه الجسدي[21]. وعوضا عن جسد يتلاغى مع الكون والمجتمع، نلفي أنه و" حول الجسد بأكمله يسود جو من الارتياب الأكيد (...)، في الحركات اليومية هناك بناء بطيء للأنا بوصفه جسما داخل عالم زماني ومكاني هكذا يبدو المخطط المرسوم. فهو لا يفرض عليّ، بل هو بالأولى انبناء نهائي للأنا وللعالم- نهائي، لأن ديالكتيكا فعليا يقوم بين جسمي والعالم"[22]

إنها إنسانية مبتورة مختانة وموشّمة بالنقص، يرتبك مخططها الجسدي وتمزق أوصاله؛ "كان جسمي يعود إليّ مبعثرا مفككا مبيضا وكله حداد "[23] بعد أن يهاجم من النظرة البيضاء الحادّة التي تفسد على الجسد الأسود علاقته الجدلية بالعالم، وتنفخ حوله مخططا جلديا عرقيا[24]يحجبه ويواريه كأنما هو "منطقة ظل، وجزء من الخافية ونصيب من الفضيحة"[25]. ينسلخ جسد الأسود ويقتلع من الوجود ليحتجز داخل حلقة السواد الجهنمية أسيرا، كي يصفو العالم للأبيض وحده فـ "الأبيض يريد العالم، يريده له وحده ...ثمة علاقة امتلاكية بينه وبين العالم "[26]

هكذا انتزعت من العبيد أنطلوجيتهم في وجود انحاز إلى البياض، ونُفُوا من مرمى النظرة البيضاء بعد أن حشروا في حداد لونهم وتدثروا بلعنتهم الجسمانية؛ " أن يكونوا بعيدين. كان لهم ذلك، لم ينازعهم الآخر الذي ابتعدوا عنه في إقامتهم ووجد في اختيارهم إنصافا للونهم ولونه، غدا لهم تجمعهم وحدودهم الفاصلة التي تتيح قيام مسافة طائلة من التمييز بينهم وبينه تصب دائما في مصلحته ومصلحة صفاته المتفوقة"[27].

**4. الزريبة:**

تقسم النظرة المانوية العالم إلى قسمين منعزلين يسكنهما نوعان مختلفان من البشر و" إن ما يقسّم العالم إنما هو أولا انتساب المرء أو عدم انتسابه إلى نوع معين"[28]، فيكون العرق المنحطّ شرا مطلقا يتوجب حصره ضمن مجال مسدود ومحدد يحصر مجال حركته، ويكفل استبعاد تهديداته على الأمن العام ضمن ما صار يعرف **بالزريبة** ؛ تحقيرا للعرق وإنزالا له إلى مرتبة الحيوان[29]؛ "الزنجي حيوان، الزنجي سيء، الزنجي خبيث، الزنجي بشع...أمي سيأكلني الزنجي"[30]، فكان السّود، على نحو ما، ينفون من المكان كي لا يزاحموا الأبيض والمستعمِر عليه، فالنزعة التملكية المستبدة به تأبى عليه اقتسام العالم.

إن فضاء الزرايب في رواية "زرايب العبيد" قد مثّل أنموذجا عن القرية الزنجية في المستعمرات؛ فقد كانت الزرائب، أيضا، جائعة وجاثية ومتدحرجة في الوحل[31]؛ و"كانت العزلة هنا جهنمية والظلام عارما والشتاء وحشيا، ليس ثمة ما يتّقيه، كانت الكلاب والقطط والجراء والدّجاج تذرع تلال الرمال وتفل البحر، تفتش عما يعينها فيه وتموت مثلنا، وكان قلبي يندس مثل خياطيمها ومناقيرها في ثرى الزرايب يوما بعد آخر"[32].

وكما هي حال **الغيتو***(Ghetto) -الذي حشر فيه اليهود إبان الحكم النازي؛ ففصلوا عن باقي المواطنين المسيحيين وعزلوا داخل أسواره ممنوعين من الاختلاط بغيرهم بدعوى انحطاط العرق♣ وبتهمة نشرهم أمراض يمتلكون وحدهم المناعة ضدها- نبذ العبيد المحررون بمقتضى قانون إلغاء الرق بليبيا في عشش وزرائب لفقوها مما توفر لهم من سقط المتاع وحطام القمامة في رواية "زرايب العبيد"؛ فبعد إلغاء العبودية لم يعد العبيد السابقون عمالة مجانية، ولا عملة تضخ الأموال في اقتصاد الرأسمالية، فاضوا عن الحاجة فجأة، فتمّ التخلص منهم بقذفهم خارج مدينة بنغازي- المتحصنة بأسوارها- كبقايا مهملة، فانكفأوا على حداد سوادهم، وانطووا على مبعدة من البيض محرومين من كل حق؛ ككوم حيواني مهمل لا تزوره إلا الكلاب الضالة وأسراب الذباب ..والأوبئة أيضا؛ "تتراكم مرتفعات القمامة عند الطريق الرئيسة المؤدية للزرايب، الكثير من قناني الشراب وبقايا خشبية لأشياء لم تعد معروفة، مراكب محطمة وعلب أطعمة فارغة وصفائح شحوم وزيوت غالبا ما يلتقطها أهل الزرايب لاستكمال أكواخهم بها أو استعمالها في بعض شؤون حياتهم البائسة، رأيت مثل تلك التنكات تتحول إلى أوعية للطبخ والأكل ونقل الماء، رأيتها تصطف بعد تعبئتها بالرمل لتؤلف جدرانا لكثير من المهاجع"[33]

هكذا كانوا في مهب تقلب أمزجة الطبيعة لا يملكون، حيالها، إلا الصبر والتراصّ في غلاف جلدي جماعي (enveloppe groupale)؛ يوحّد مصيرهم؛ "انشغل الناس بمعالجة عشاشهم ، ترميم ما سقط منها ومحاولة تثبيت الموجود، ومؤازرة بعضهم بعضا على مواجهة الأسوء إذا فعلتها الريح كما فعلها الماء مرتين من قبل وتحولت الزرايب إلى سطح عائم من الأخشاب والدّيس والجثث والبقايا"[34]

وتدثروا بما قذفوا به من غلاف متقرّح حيك لهم من الاختلاقات والأوهام التي رسمتها مخيلة الإنسان الأبيض (المريض). وانكفأوا على شقائهم وعجزهم صامتين؛ "طاردتني سمرتي المنبوذة من أهالي بنغازي غير السود. حتى الذين هم للسمرة أقرب من البياض حقّ لهم رفض سوادنا الغريب على الساحل البحري الأبيض"[35]

لم يسلم هذا المعتزل القاسي من نزعة المحو والإلغاء التي تستبد بالأبيض والمستعمِر، فجاء الطّاعون ليصطف هو الآخر في صف القويّ؛ كضربة حظّ وهبته فرصة سلب الزنوج ملاذهم الجهنمي الأخير ومحوهم كلية من "الوجود هنا"؛ من شغل حيز وامتلاك فضاء خاص، إذ أحرقت الزرايب بمن استعصم فيها من العبيد الموبوئين وغير الموبوئين، ولم يكن بوسع العبيد المدافعين عن آخر مآويهم أن يغيروا من مآل الاندثار

المحتوم شيئا؛ "هرع جوسيبي معي يذرو التراب على البنزين المسكوب، عمتي عيده أيضا، وزنوج آخرون فعلوا فعلنا بينما لجأ آخرون إلى البحر في هجوم كبير يغرفون من مائه ما تيسر لهم لإطفاء الحريق كانوا يدافعون عن مكانهم المسحوق دفاعا يائسا لكنهم دافعوا وحسب"[36] ففي غمرة تحالف كل أنواع القوى ضدهم، أصرّ العجز وحده على ملازمتهم؛ "في الزرايب لا تثق بشيء عدا الأشياء السيئة، لعظم قدرتها على التحقق"[37]

أما من نجا من ألسنة اللهب في الزرايب فإنه وضع في سجن وقّع الطاعون تصميمه الهندسي، لقد صاروا سجناء الوباء؛ "بدأوا يجمعون الأهالي المتعبين مثل قطيع موبوء من الماشية مهددينهم بإطلاق النار عليهم إن رفضوا السير إلى الحجر الصحي في جليانة امتلأنا باليأس والحزن وملأت عرباتهم الأرض من حولنا بالغبار"[38].

**5.التحديقة البيضاء: نظرة الميدوزا**

يكتسح البياض، المهيمن على العالم، محيط السُّود ويُعْدِم وجودهم، يكفّن أنطلوجيتهم الملوّنة بعد أن يقلّص مساحة حركتهم شيئا فشيئا.. إلى أن تلفّهم أخيرا عدميته البيضاء، فيدفعون إلى حافة الفراغ المبهم مبكّرا كيما تتقوض آفاقهم الدلالية، وتتلاشى حافرة، في وجوههم، سراديب لا تفضي إلا إلى عجز الموت و فراغ الحداد [39]؛ "حول الأبيض، في الأعلى، السماء تنتزع صرتها، والأرض تصر تحت قدمي، وأغنية بيضاء، بيضاء، كل هذا البياض الذي يكلّسني"[40]

وهو عمل تنهض به النظرة العنصرية التي تصعق كل ملوَّن فتدفنه في جليد النظرة البيضاء؛ تطوّقه ببياض العجز وتصلبه كعمود ملح بلا حراك؛ " أنا مثبّت فبعدما ضبطوا مجهرهم القاطع، قاموا بتقطيع واقعي تقطيعا موضوعيا. أنا مختان، أشعر أرى في هذه النظرات البيض أن الذي يدخل ليس إنسانا جديدا بل نمط إنساني جديد نوع جديد، يعني زنجيا"[41]

يضيع الأسود في التيه الأبيض وتتعطل بوصلته في سديم الأمكنة المبيضة غير المعلّمة؛ " ذلك اليوم بلا اتجاه عاجز عن أن أكون في الخارج مع الآخر الأبيض الذي كان يحبسني بلا شفقة رحلت بعيدا عن وجودي هنا بعيدا جدا وحولت نفسي إلى غرض، شيء"[42].

هي نظرة تتصل بالتحديقة (la gaze) اللاكانية*؛ تلك الرؤية اللامرئية، غير المحددة التي تقصر عنها الرؤية البشرية الحسيرة، فتتنزل على الذات من الآخر قوةً تشكّلها وتخضعها، تُحْدِقَ بها وتقذفها خارج الحقل البصري كغرض. فقد كان "دائما في التوزيع الكولونيالي للنظر إما رغبة في تشييء أو محو..." [43]. يصاب الجسد الأسود بالتّشمع وتشلّ حركته، كأنّما تلقى شرارة من عين الميدوزا** حجّرته وجمّدت أوصاله، فهي العين الشريرة التي لا تفلت شيئا، ومع كل محاولة حركة من الأسود اتجاه العالم –يقول-" كان جسمي يعود إلي مبعثرا، مفككا مبيضا وكله حداد صبيحة هذا اليوم الشتائي الأبيض"[44]

كذلك كان العبيد الشهود على حرائق الزرايب؛ وقد أحدقت بهم العين الاستعمارية البيضاء، وانطلقت منها نظرة الغورغونا الصاعقة المحجِّرة؛ "ماذا يجري؟ لم يكن الظرف يسمح بأي تفسير، علينا أن ندرك ما نراه بأعيننا فقط ويربكنا ويصدمنا. ففي مشهد القيامة ذاك بالكاد يدرك المرء نفسه، إنها النار الآتية على كل شيء"[45]. صاروا يتمرأون في دائرة الحدقة الاستعمارية البيضاء كأصنام بازلتية مجمّدة، زايلت الفاعلية حركاتهم فبقوا مسمّرين وعاجزين إذ "تنقش لحظة الرؤية المعتقلة في العين الشريرة ضربا من السرمدية، أو تجَمُّد الزمن" [46]في كرونولوجيا الزنجي المستعمَر.

**6. النار التطهيرية: التطهير العرقي**

لطالما اعتبر السكان الأصليون والزنوج، في المستعمرات، مستودعا لقوى شيطانية، وعدّت المعتزلات التي يحشرون فيها وكرا للعنف والفساد والجريمة، بعد أن غدت الهوام والأكاذيب تحل محل كيانهم؛ وعلقت بهم مثالب "التخلف العقلي"، و"الانحطاط"، و"البربرية"، و"القذارة"، و"الكلب"، و"الفتيشية" و"أكل لحوم البشر" و"الشعوذة" أيضا... وكان ينظر إلى معتقدات هذه الشعوب على أنها هرطقات، تعد محاربتها واجبا دينيا في المسيحية؛ فعندما أُحْرِق الهنود الأمريكيون، المتهمون بنقل الأوبئة ونشرها في القارة، كان ذلك بدافع ديني وباسم المسيح المخلّص؛ "كان مشهدا مخيفا أن نراهم يحترقون في النيران وتجري أنهار من الدماء، وكانت الرائحة مرعبة، ولكن بدا أن النصر كان قربانا (لله تعالى)"[47]. فهو في الأخير انتصار على الوثنية والكفر ومجد للصليب، استعملت فيه النار اللاهوتية الحاملة لرمزية التطهير[48].

لم يكن عبيد الزرايب من هذه التّهم ببراء، فقد كانوا "يتّهمون كل شخص أسود بالسّحر ليضفوا مزيدا من عدم الفهم على طبيعته، يصنعون بيئة معقدة لنا ويسجنوننا فيها، يجد الشخص منّا نفسه يدفع عن نفسه تهمة بدلا من أن يطالب بشيء هو من حقه"[49].

أما فترة انتشار الطاعون في ليبيا فقد تواقتت مع الاستعمار الإيطالي؛ ولإيطاليا، بالتحديد، تاريخ فريد مع الوباء كونها أول دولة اتخذت إجراءات صارمة ضد الأوبئة، وإليها يعزى ابتكار "مفهوم النظام"[50]؛ الذي يبرر التدخل في حياة الناس العاديين خلال أزمة الوباء، لذلك جاء قرار حرق الزرايب من إدارة الاستعمار كإجراء تنظيمي روتيني لا يتجافى مع برودة إدارة محنّكة في مواجهة الأوبئة؛ "كانت السلطات تقضي على الطاعون دفعة واحدة بطريقتها، الموت يستشري وقد يهلك مستعمراتها إن لم تواجهه بحزم لذا كان عليها أن تحرقه في مكانه، ذلك ما حدث ببساطة!"[51].

خصوصا وهو يتصل بفضلة [بشرية] ملقاة خارج المساحات المسوّرة لسكان البلاد المستعمَرين، " كانت الزرايب تشتعل وبنغازي المسوّرة بسياج كبير أمامهم تمتص الدخان ساهمة، قيل إنه الطاعون الذي حملته وواجهه السود يومذاك ببحر من الدموع ينافس البحر الذي أمامها"[52]. يحسب العبيد في عداد المستعمَرين ولكن من درجة ثانية، فلا مكان لهم في السجلات المدنية، كانوا زائدين عن الحاجة وجودهم وعدمهم سواء

،لا بل في عدمهم تطهير للمكان وتعقيم له، "كانوا أحياء عندما رشّت السلطات البنزين والكاز على الأكواخ وأشعلتها بمن فيها وما فيها"[53].

إن حلقة السواد الجهنمية[54] التي احتجز السود فيها بأثر من لعنتهم الجسدية، ما انفكت تضيق عليهم شيئا فشيئا.. إلى أن أطبقت عليهم في الأخير وذرتهم هبابا متفحما بلا شاهد ولا أثر؛ " كان آخر ما رأيت من مأساة الزرايب دخانا **أسود** كثيفا حجب الأرض والسماء، رائحة كريهة لأجساد بشرية وحيوانية شويت حية، وروح أمي غير المطعونة تختنق **من سواد خلقت وإليه تعود**"[55] بعد أن قرر من بيده الحكم في المستعمرة أن يمحوهم من مجال الرؤية فيغدون غير مرئيين[56] لأن نصيب المثول للعين، في هذا الوجود المصادَر، ليس مقسّما بالتساوي.

**7. خاتمة:**

إن من وَرَدَ محارق الطواعين الشيطانية لا يمكن أن يَصْدُرَ عنها فينيقاً، فمن رماد النار الأمومية كانت تنبعث شرارة البقاء والتجدد، أما هباب السواد المتفحم فمآله إلى استئصال وتبدد، جاءت الإبادة والتصفية العرقية لعبيد الزرايب قرينة بتصفية الوباء، فالزنوج الفائضون عن الفضاء الأبيض صاروا إلى وضع البكتيريا الناشرة للوباء؛ بعد أن زيدت، على تدنيهم العرقي واعتبارهم "بقايا بشرية"، وصمةُ احتضان الطاعون ونشره. وغدا الأمر متعلقا بوحدة مصيرية جمعتهم -بقدرة قادر أبيض ومستعمِر- بآلة الفتك الفيروسية الخبيثة التي ينبغي تحييدها واجتثاثها.

## الهوامش

[1]. واتس. شيلدون، الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والإمبريالية، ت. أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.01، 2010، ص80.

[2]. نفسه، ص192.

[3]. نفسه، ص.200-201.

[4]. نفسه، ص.278.

[5]. ينظر؛ توماس. هيلين وأحمد. جميلة، الأجساد الثقافية: الإثنوغرافيا والنظرية، ت. أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.01، 2010، ص ص.119-120.

[6]. D .Anzieu, corps de l'œuvre, Gallimard, 1981, p.72

[7]. فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان- الحياة، ت. عباس. عبد الهادي، دار دمشق، ط.01.،1992، سورية، ص.253.

[8]. D .Anzieu, corps de l'œuvre, p.39.

[9]. مبيمبي. أشيل، نقد العقل الزنجي، ت. طواهري ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية – ناشرون، الجزائر – لبنان، ط.01، 2018، ص.62.

[10]. زغودي. دليلة، الأنا الجلدي أرجوحة الوجود المتذاوت، مجلة أبوليوس، المجلد09، العدد01، جانفي 2022، ص.48

[11]. ينظر؛

-D. Anzieu, Le Moi peau, DUNOD, Paris, 1995, pp.121-122.

[12] . Ibid, pp.121-129.

والفرق بين وظيفتي الصيانة والتدمير الذاتي يظهره التباين بين الإيروس والتاناتوس (غريزة الحياة وغريزة الموت)

[13]. فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ت. خليل أحمد خليل، منشورات **ANEP**، ودار الفارابي، الجزائر –بيروت، ط.01، 2004، ص122.

*. عتيقة هي بطلة رواية زرايب العبيد

[14]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، دار الساقي، بيروت، ط.01، 2016، ص.59.

[15]. ينظر؛ فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص ص.117-118

[16].غبسون. نايجل سي، فانون المخيلة ما بعد -الكولونيالية، ت. خالد عايد أبو هديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط.01، 2013، ص.51.

[17]. ينظر؛

D. Anzieu, Le Moi peau, p.61.

[18] Ibid, p.73.

[19]. ينظر؛ لحكيم بناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد4 المجلد 37، أبريل- يونيو 2009، ص.104.

[20]. Merleau - ponty. M, phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945p.175.

[21]. ينظر، فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص.119.

[22]. ينظر، نفسه، ص.119.

[23]. نفسه، ص. 122.

[24]. . ينظر، نفسه، ص.120.

[25]. مبيمبي. أشيل، نقد العقل الزنجي، ص.62.

[26]. فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء بشرة، ص.136.

[27]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص ص.108-109.

[28]. فانون. فرانتز، معذبو الأرض، ت. سامي الدروبي وجمال أتاسي، ص. 22

[29]. للاستزادة من منطق الزريبة ينظر؛ مبيمبي. أشيل، نقد العقل الزنجي، ص ص.60-61.

[30]. فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص.122

[31]. فانون. فرانتز، معذبو الأرض، ص22

[32]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص.344.

*. الغيتو: هو المعزل الذي فصل فيه اليهود عن سكان المدن الآخرين، على غرار الغيتو في مركز مدينة روما، أو الغيتو في قلب مدينة وارسو في الأربعينات من القرن 20م، يعرف في الدول العربية بـ "حارة اليهود" أو "درب اليهود" ويعرف "بالملاح" في المدن المغربية العتيقة.

♣. نعت القائد العام لقوات "إس إس" النازية اليهود المقيمين في الغيتو بوارسو بـ"أنصاف البشر"

ينظر؛ وثائقي: الحي اليهودي في وارسو-احتلال ألمانيا النازية لبولندا، وثائقية دي دبليو (**DW**) الرابط على اليوتيوب:

http://www.dw.com/ar/to/dofilm/s-3610

تاريخ المشاهدة: 25 مارس 2023.

[33]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص. 71.

[34]. نفسه، ص. 86.

[35]. نفسه، ص 59.

[36]. السابق، ص166

[37]. نفسه، 344.

[38]. نفسه، ص.166.

[39]. يحمل اللون الأبيض في رمزيته دلالات الموت ومعاني الحداد لأنه مُسْلَم للتشاكل المطلق واللا اختلاف، ينظر؛
Chevalier.J et Gheerbrant l : Dictionnaire des symboles, Ed : Laffont/ Jupiter, Paris, 1982. p.125.

[40]. فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص.122

[41]. فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص. 124.

[42]. نفسه، ص.120.

*. يقدم جاك لاكان التحديقة كقوة خارجية تشكل الذات
ينظر؛ هومي. ك. بهابها، موقع الثقافة، ت. ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -بيروت، ط.01، 2006، ص.107.

[43]. مبمبي، 158.

**. أو الميدوسا : (بالإنجليزية **medusa**) بمعنى الحارسة الحامية وتدعى أيضا غورغونة (بالإنجليزية **gorgo**)أسطورة إغريقية عن إحدى الحسناوات التي اقترفت الزنا في معبد مينرفا، فحل عليها غضب ربّة المعبد ومسخت شعرها الجميل ثعابين بشعة، وجعلت نظرها لا يقع على شيء إلا مسخه حجرا. ينظر:
-أوفيد، مسخ الكائنات "ميتامورفوزس"، ت. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.03، 1992، ص.110.

[44]. فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص.122

[45]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص. 155

[46]. هومي. ك. بهابها، موقع الثقافة، ص.115.

[47]. واتس. شيلدون، الأوبئة والتاريخ، ص. 261.

[48]. فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان- الحياة، ت. عباس. عبد الهادي، دار دمشق، ط.01.،1992، سورية، ص.338.

[49]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص ص. 318-319

[50]. واتس. شيلدون، الأوبئة والتاريخ، ص.91.

[51]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص. 116.

[52]. نفسه، ص.155.

[53]. نفسه، 169.

[54]. ينظر؛ فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص.124.

[55]. بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، ص.169.

[56]. فيما يتصل بسلطة التجلي والخفاء الاستعمارية ينظر؛
- مبيمبي. أشيل، نقد العقل الزنجي، ص.158.

## المصادر والمراجع

أ. **باللغة العربية:**

1-أوفيد، مسخ الكائنات "ميتامورفوزس"، ت. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.03، 1992،

2-بن شتوان. نجوى، زرايب العبيد، دار الساقي، بيروت، ط.01، 2016.

3- توماس. هيلين وأحمد. جميلة، الأجساد الثقافية: الإثنوغرافيا والنظرية، ت. أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.01، 2010.

4-غبسون. نايجل سي، فانون المخيلة ما بعد -الكولونيالية، ت. خالد عايد أبو هديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط.01، 2013

5-فانون. فرانتز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ت. خليل أحمد خليل، منشورات ANEP، ودار الفارابي، الجزائر –بيروت، ط.01، 2004.

6-فانون. فرانتز، معذبو الأرض، ت. سامي الدروبي وجمال أتاسي.

7- فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان- الحياة، ت. عباس. عبد الهادي، دار دمشق، سورية، ط.01.،1992.

8-مبيمبي. أشيل، نقد العقل الزنجي، ت. طواهري ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع ودار الروافد الثقافية – ناشرون، الجزائر – لبنان، ط.01، 2018

9- هومي. ك. بهابها، موقع الثقافة، ت. ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -بيروت، ط.01، 2006.

10-واتس. شيلدون، الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والإمبريالية، ت. أحمد محمود عبد الجواد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.01، 2010

**ب. باللغة الأجنبية:**

1-Anzieu.D, corps de l'œuvre, Gallimard, 1981
-2Anzieu.D, Le Moi peau, DUNOD, Paris, 1995,
3-Chevalier.J et Gheerbrant l, Dictionnaire des symboles, Ed : Laffont/ Jupiter, Paris, 1982.
-4Merleau - ponty. M, phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945

**ج. المجلات:**

1- زغودي. دليلة، الأنا الجلدي أرجوحة الوجود المتذاوت، مجلة أبوليوس، المجلد09، العدد01، جانفي 2022

2-لحكيم بناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد4، المجلد 37، أبريل- يونيو، 2009

**د. مواقع الويب:**

1وثائقي : الحي اليهودي في وارسو-احتلال ألمانيا النازية لبولندا، وثائقية دي دبليو (DW) الرابط على اليوتيوب:
http://www.dw.com/ar/to/dofilm/s-3610

تاريخ المشاهدة: 25 مارس 2023.